النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900- 1956

د. خير الدين شترة،
قسم التاريخ ،
جامعة أدرار.

ملخص:

لقد كان للصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية والسياسية والفكرية في الجزائر، وفتح صدرها لبعض النخب الجزائرية لينشروا بعض أعمالهم ببعضها (كالعصر الجديد والنهضة والزهرة، والوزير، والصباح..) وغيرها.

وبفضل ما أتاحت الصحف التونسية من مجالات للتعبير والكتابة بالنسبة للنخب الجزائرية ظهرت النواة الأولى للأدباء والكتّاب والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية والفكرية والسياسية في الصحف والمجلات التونسية التي تبنّت سر إنتاجهم المبكّر وتشجيعهم على الكتابة وتحريضهم بكل الوسائل على تناول القضايا الوطنية الجزائرية والتعريف بنضال شعبهم، ففي الصحف والمجلات التونسية نجد آثاراً أدبية وفكرية لأبرز أعلام الأدب والفكر في الجزائر، مثلما نجد كتابات أخرى لأدباء وكتّاب ومفكرين جزائريين كانوا درسوا بالزيتونة وأقاموا بتونس وساهموا بالإنتاج في فترة ما، فبقي هذا الإنتاج مغموراً في هذه الصحف ومجهولاً من قبل الدارسين الجزائريين. ويمكن تلخيص إنتاجهم في هذه المحاور:

- الانصراف عن الأغراض الذاتية الضيّقة والالتزام بالتعبير عن الوجدان الجماعي للأمة.
- الاندماج في الواقع الوطني والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وترقيته وإصلاح حاله.
- الحض على الاستمرار في حركة الجهاد لإفشال الخطط التغريبية إزاء عناصر الهوية الحضارية .
- مواكبة مسيرة العمل الوطني والثوري، وحث الشعب على الالتفاف حولها.

التعاطف مع قضايا الأمة العربية الإسلامية، والمشكلات الإنسانية، ويمكن أن نميّز في هذه الاهتمامات جملة من المضامين من بينها: البعد الديني، البعد الوطني، البعد الاجتماعي والثوري، البعد القومي والإنساني.

مدخل:

تُمثل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حقبة بالغة الأهمية؛ تتميّز بأزمة عميقة في الفلك الثقافي الجزائري..، حيث كانت السنوات الأولى من القرن العشرين شاهدة على تأرجح المجتمع الجزائري بعد أن نخره التطور الاستعماري، مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفكك البنى عاجز عن المقاومة الفعالة لهيمنة سلطة الدولة الاستعمارية وتظهر العناصر الأولى من أنتلجنسيا جديدة ترتب جزئيًا على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري يتنازعها الغرب الذي يفرض نفسه ماديًا، والفكر الإسلامي الذي لازال المحرك للمجتمع لذا فهي أنتلجنسيا هشَّة حاولت استبدال المقاومة الجريئة في رفضها القبول بالأمر الواقع بنمط جديد من المواقف والتصرفات وسلوك موارب يُفضي بالتخلي عن

ساحة المجابهة المباشرة للاستعمار ونقل الصراع إلى الجبهة المطاطة حيث استبطان القيم الاستعمارية ثم نقلها ونشرها لإقامة مجتمع جديد**(عوض، ص. 1992م، 215)**، وكانت الصحافة أولى السبل التي سلكها أصحاب هذا الاتجاه للتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

وقد كان للصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية في الجزائر، وفتح صدرها لبعض النخب الجزائرية لينشروا بعض أعمالهم ببعضها (كالعصر الجديد والنهضة والزهرة، والوزير، والصباح..) وغيرها.

ويؤكد ابن باديس على عمق هذه الأواصر الأخوية بين الجزائر وتونس فيقول: «إن الروابط عديدة بين الجزائر وتونس بل بين المغرب العربي بصفة عامة.. كالروابط العلمية والسياسية التي ذاقت بها هذه حلاوة الاستقلال تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك..» **(بن سمينة .م، 1989م - 59-60)**، وبفضل ما أتاحت الصحف التونسية من مجالات للتعبير والكتابة بالنسبة للنخب الجزائرية ظهرت النواة الأولى للأدباء والكتّاب والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية في الصحف والمجلات التونسية التي تبنّت سر إنتاجهم المبكّر وتشجيعهم على الكتابة وتحريضهم بكل الوسائل على تناول القضايا الوطنية الجزائرية والتعريف بنضال شعبهم، بل إن دُور النشر التونسية كان لها الفضل الأول في تبني نشر هذا الإنتاج مثلما فعلت مع الطلبة الزيتونيين أمثال: رمضان حمود صاحب كتاب بذور الحياة، وأبو اليقظان في ديوانه، ومحمد الهادي السنوسي صاحب كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر (جزءان)، وعبد المجيد الشافعي صاحب

كتاب الطالب المنكوب، وعبد الله الركيبي صاحب كتاب نفوس ثائرة، ونور الدين بوجدرة صاحب كتاب الحريق، ومحمد الصالح الصديق وكتابه أدباء التحصيل... وسائر المطبوعات الجزائرية التي ظهرت بتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين ففي الصحف والمجلات التونسية نجد آثاراً أدبية وفكرية لأبرز أعلام الأدب والفكر في الجزائر، مثلما نجد كتابات أخرى لأدباء وكتّاب ومفكرين جزائريين كانوا درسوا بالزيتونة وأقاموا بتونس وساهموا بالإنتاج في فترة ما، ثم أقلعوا عن الكتابة فبقي هذا الإنتاج مغموراً في هذه الصحف ومجهولاً من قبل الدارسين الجزائريين(**الجابري. م 1992م، 110**) .

وعلى صفحات الجرائد والمجلات التونسية انطلقت النخبة الجزائرية تعاني معطيات الحياة الجديدة وتُصوِّر قضايا الواقع وتُعبّر عن تطلعات المجتمع، فكان العالم الذي يستولي على اهتماماتها، وما يغلب على إنتاجها إنما هو عالم الوطن، وعالم الأمة، وكل ما يتصل بهما ويتفرّع عنهما من قيم ومقوّمات وقضايا واهتمامات، وكان صوت الوجدان الجماعي لدى هذه النخبة أقوى من أي صوت غيره في نفوسهم مما جعلهم يُسخّرون أعمالهم للنهوض بالواقع والتعبير عن قضاياه، ويمكن تلخيص ذلك في هذه المحاور:

- الانصراف عن الأغراض الذاتية الضيّقة والالتزام بالتعبير عن الوجدان الجماعي للأمة.
- الاندماج في الواقع الوطني والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وترقيته وإصلاح حاله: عقيدةً وفكراً، علماً وعملاً.
- الحض على الاستمرار في حركة الجهاد لإفشال الخطط التغريبية إزاء عناصر الهوية الحضارية المعتدى عليها، والمنافحة عن الحقوق الوطنية.

- مواكبة مسيرة العمل الوطني والثوري، وحث الشعب على الالتفاف حولها وتصوير ملامحها والتلويح ببشائر النصر على فلول المعتدين.
- التعاطف مع قضايا الأمة العربية الإسلامية، والمشكلات الإنسانية، ويمكن أن نميز في هذه الاهتمامات جملة من المضامين من بينها: البعد الديني، البعد الوطني، البعد الاجتماعي والثوري، البعد القومي والإنساني.

حتى الطالب الجزائري في تونس لم يكن يكتفي بدور الطالب الذي يتلقى الدرس ثم يتأبط كتبه صوب مسكنه، وإنما كان يُساهم مساهمة فعالة فيما كانت تزخر به تونس في أعقاب الحرب، وبعد رفع الحصار على الصحافة سنة 1920م من نشاط فكري وديني وسياسي(**الخربي.ص، 1969، 30**)، وهكذا فإننا نلمس من الهجرة: هجرة بالفكر والرأي والقلم، وهجرة إلى طلب المعرفة والعلم، ولكل منهما وسطها الثقافي ومجالها وصلاتها، كان المهاجرون بالرأي يرتبطون بالصحافة التونسية من خلال المراسلات والعلاقات الشخصية التي نشأت عن هذه الرسائل كالعلاقة التي ربطت بين عمر بن قدور والشيخ الطيب بن عيسى صاحب جريدة المشير والتي نجد إشارات لها في بعض رسائل بن قدور، أو العلاقة التي ربطت بين الطيب العقبي وأحمد حسين المهيري صاحب جريدة (العصر الجديد)... وذلك بالإضافة إلى علاقات أخرى كثيرة نجد لها صدى في الكلمات الودية والشخصية التي تظهر في هذه المراسلات(**الجابري. م، 1991م.21**).

وما من شك في أن هذه المراسلات أدت دوراً خطيراً سواء في مجال الإعلام بأخبار الجزائر التي كان التونسيون والجزائريون المهاجرون

يتشوّقون إليها، أو في مجال ما تضمنته من معلومات عن الوضع وفضح الأساليب الاستعمارية، وكذلك كان لها دور في أن تراثاً أدبياً هاماً وجد مجاله إلى الصحافة التونسية من قصص، وشعر، ومقالات ربما كان بعضه مهدداً بالضياع والتلاشي، أما الهجرة الثانية فهي هجرة الطلبة الذين كانوا يأتون للدراسة بجامع الزيتونة ثم يُغريهم الوسط الأدبي والثقافي بالمساهمة في النشاطات الفكرية فيكتبون المقالات والقصائد ويُشاركون بفعالية في الحياة الأدبية، وهؤلاء هم الذين أصبحوا فيما بعد أبرز صحافيي الجزائر وأهمهم، وقد تخرّج معظمهم من الزيتونة، ومارسوا خطواتهم الأدبية الأولى بالصحافة التونسية.

ومن حصاد هاتين الهجرتين استطاعت الصحافة والمجلات التونسية أن تحتفظ طيلة أكثر من نصف قرن بتراث أدبي وفكري زاخر وبصفحات مشرقة ومُشرّفة من العمل الوطني المشترك الذي ساهم فيه الجزائريون المهاجرون مع أشقائهم التونسيين، وكان له التأثير المباشر في وحدة الحركة الوطنية المغربية، وفي تحقيق الغايات التي كانت تهدف إليها هذه الهجرة. **(الجابري. م، 1991م. 22- 25)**

1 - النضال الصحفي الجزائري في الصحافة التونسية خلال الفترة (1900- 1920)م

لم يشتغل الخضر حسين**«1874- 1958»** بالصحافة كمهنة يرتزق منها ولا انقطع لها كما ينقطع الصحفي المحترف ولكنه مارسها كرسالة ومنبر للتعبير عن مذهبه في الإصلاح وآرائه في الدين والحياة والفكر ولطول ممارسته لها وتحمله أعباء مسؤوليات كثيرة فيها منذ فجر شبابه إلى آخر لحظة من حياته وجب اعتباره صحفياً مناضلاً ورائداً

من رواد الصحافة التونسية، فبالإضافة إلى ما كتبه ونشره من مئات المقالات والفصول والأبحاث في مختلف الجرائد التونسية... أسّس عدداً من المجلات وساهم في تحرير كثير غيرها، وكان بذلك مؤسساً للصحافة التونسية وصاحب امتياز، ومحرراً ورئيس تحرير **(كرو .م، 1973م، 62)**.

فلقد أسّس في سنة 1904م، وهو في جامع الزيتونة مجلة "السعادة العظمى" وهي أول مجلة تأسست وصدرت في تونس وقد جعلها نصف شهرية وذات اتجاهين ديني وأدبي، ولئن لم يصدر منها سوى (21 عددًا) فإن مجموعتها تعتبر مصدراً هاماً لتاريخ الصحافة العربية وطليعة رائدة للإصلاح وبذوره الأولى بتونس**(الخريف.ص، 1977م، 62)**، قال عنها الشيخ بن عاشور عند صدورها منتشيًا بها، ومنتقداً لمعارضيها قائلا: «بقي معارضو الدعوة الإصلاحية متطلعين إلى الوفاء... بتكوين نشرة تناقش في المباحث الدينية على قاعدة التزام المذهب الذي عليه جمهور العلماء في مسائل أصول الدين الاعتقادية... وكان الحرص على محاكاة مصر في وسائل نهضتها، يحسن لأهل العلم إيجاد مجلة علمية بتونس... حتى انتدب لسد ذلك العوز نابغٌ من شباب شيوخ الزيتونة هو الشيخ محمد الخضر حسين، فأصدر في شهر محرم سنة 1322هـ/1904م مجلة علمية سمّاها السعادة العظمى ابتهجت لصدورها جميع الأوساط العلمية والفكرية، ثقةً بعلم صاحبها وتحقيقه، وصلابة عوده في أمور الدين مع ما اشتهر من تأييده لحركة المصلحين... فكانت هذه المجلة مركزاً للحركة الفكرية وقوة توجيه متصلة بجميع أهل الثقافة العربية...». **(علي الرضا. ح، 1998م.77- 78)**.

وظهرت المجلة بقطعٍ من الورق الجيّد مقاس (17- 24) وبعدد (16) صفحة، وقد جاء تحت اسم المجلة ما يلي: «مجلة علمية أدبية إسلامية

تصدر غرة كل شهر عربي وفي سادس عشر منه»(**الخضر، ح. 1904م**)، كان صاحبها يُصدرها من منزله نهج رحبة الغنم (معقل الزعيم حالياً) بالعاصمة، أما عن محتواها فهو كما أشار العدد الأول في افتتاحيتها التي استغرقت صفحات كامل العدد، تقتصر على بعض عناصره «...تُفاتح مطالعيها(كذا) بمقالة تتخذ مظهراً لبعض مطالب تقتضيها المحافظة على حياة مجدنا القديم، ويتلوها باب نعتبره معرضاً لعيون مباحث علمية، ولا نريد إلا انتظامها في ماهر التحقيق، بما يتخللها من الأفكار السامية يتلوها باب ثالث تنشر فيه من الآداب ما يكون مَرقاةً للتقدم في صناعتي الكتابة والشعر لا يتمتع بها عند المسايرة، ثم ترقص كأضغاث أحلام.. ونقصّ في هذا الباب من التاريخ أحسن القصص ويتصل بذلك باب رابع في الأخلاق ويلي باب آخر للأسئلة والاقتراحات ثم خاتمة عنوانها مسائل شتى».(**C. D. N, B2–81.**)

لقد ساهمت السعادة العظمى برغم عمرها القصير، بدور فعال في الحياة التونسية وكان لها أثر محمود في مطلع القرن العشرين على الحركات الفكرية والدينية والاجتماعية، ورغم نزوعها إلى الاعتدال – كشأن صاحبها دائماً- فقد جُوبهت بمعارضة عنيفة من طرف شق الجامدين والمحافظين من شيوخ الزيتونة وأمثالهم في الحياة العامة يومئذ(**كرو .م، 1973م، 62**).

ولعل أهم ما عنيت به المجلة تأييدها للإصلاح، ودعوتها لتغيير مناهج التعليم الزيتوني ومطالبتها بإدخال تدريس الأدب واللغة فيه ونشرها لأولى محاولات التجديد في الشعر ودفاعها عن اللغة العربية، وإذا سلمنا بما يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عنها فإنها كانت لسان حال جماعة من الشيوخ والعلماء الميّالين إلى الاعتدال في تحقيق الإصلاح وبناء

النهضة(**بن عاشور .م. الفاضل، 1983م، 62**)، لقد تتابعت أعدادها إلى رقم واحد وعشرون أي قرابة العام، ويبدو أنه تخلى عنها ليتولى منصب قاضي شرعي ببنزرت عام 1905م، كما تولى الخطابة والتدريس بجامعها الكبير (**محفوظ.م، 1982م، 128**).

وكان عمر بن قدور (1886- 1932)م –أحد خريجي الزيتونة- يملك توجهات أدبية وفكرية جسّدها في عمله الصحفي، حيث أخذ يتعامل مبكراً مع جريدة الحاضرة التونسية والحضارة العثمانية التي تصدر في اسطنبول، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه قد رجع إلى الجزائر سنة 1908م(**سعد الله .أ، 1998م، 277**)، وكانت ميوله قومية إسلامية كما يدل موشحُه الذي نشره في جريدة الحاضرة سنة 1909م، والذي عارض به موشح ابن سهل وتساءل فيه (هل أباد اليأس جيش الأمل؟) وفي نظره أن اليأس لم يقع لأن الحضارة الإسلامية ما تزال بخير إذا استيقظ أهلها وعلمائها وعرفوا مكانتهم في التاريخ.

ويُعد عمر بن قدور الجزائري من بين الرواد الأوائل في التطلع إلى الوحدة المغاربية يوم نادى سنة 1914م بتأسيس (جمعية التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا)، فقد كتب يقول في الفاروق (**الفاروق، ع20، 07/ 1914**): «حدا بي إلى الخوض في هذا الموضوع ما أشعرني به أحد المفكرين الموثوق بسمو مداراتهم بأن نجاح مشروعنا العظيم موقوف على تخصيصه بالوسط الجزائري فلا يتعداه إلى التخوم الشرقية والغربية، ومستند هذا المفكر الخبير وجيه جداً بالنظر إلى المحيط السياسي.. أما مأمورية (الفاروق) في إيجاد هذا المشروع فإنها عامة لأن له القراء في تونس ومراكش ما يعادل قراءه في الجزائر... وكان أول المستجيبين له الأديب [الجزائري الأصل] حسين الجزيري.».

وفي إطار التعاون والتنسيق الصحفي دائماً بين القطرين نجد عمر راسم الجزائري يتوجه بالنصح لكل من يصدر جريدة جديدة كما فعل وهو يُهنئ الشيخ الطيب بن عيسى[الجزائري الأصل] بصدور جريدته (المشير) قائلاً له: «أرجوكم نعمَ الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقادياً وخادمة للدولة العليّة، وأن تنتقد عليها في كل ما تراه حسناً.. أيها الأخ اعلم أنك جزائري الجد فلا تغفل عن وطنك ودافع عنه بقدر الطاقة ولا تخش في الله لومة لائم، وكُن مع نصر الله يكن معك، وعلى الوطن يُعينك الله، وحب الوطن من الإيمان»(**المشير، ع26، 06/ 1911/08**)، ونظراً لتلك العلاقة النقية الصادقة التي مزجت بين مشارب الجميع، ولِما أبداه الجزائريون من غيرة وطنية واهتمام دقيق بأخبار الصحافة والصحفيين التونسيين –فقد ظل التونسيون يبادلونهم نفس المشاعر الودية ويتابعون بحرص ضروب ما يتعرض له إخوتهم في الجزائر من أذى واضطهاد، وعندما لا يجدون الحول للدفاع عنهم فهم يكتفون على الأقل بنشر أخبارهم ولفت نظر الرأي العام إلى قضاياهم.

ولقد ضاهى بعض القرّاء الجزائريين مستوى جريدة "المشير" التونسية بالمستوى الذي كانت عليه جريدة (المنار)، وقد صاغ هذه المضاهاة في أبيات شعرية أرسل بها إلى الجريدة مُظهراً إعجابه بمضمونها الإصلاحي، فنشرت المشير (**المشير، ع26، 1911/08/06**).هذه الأبيات الموقعة باسم (أديب ابن خنشلة):

ألا من لي بذي عقل منير ❖❖❖ يرحب بالمنار وبالمشير
ويحمل سامعيه على التصدي ❖❖❖ هم كتّابنا صافي الضمير
يعظم شأن علم العصر فينا ❖❖❖ ويوقظهم إلى خير كثير

ومن أبرز الأقلام الجزائرية التي ناضلت من خلال الصحافة التونسية في هذه الفترة نجد قلم سعد الدين بلقاسم بن الخمار، فقد كان أول الملبيّن لفكرة عمر بن قدور الجزائري يوم دعا لعقد «جماعة التعارف الإسلامي» ومن أشد الكتّاب تحمساً لها ودفاعاً عن أهدافها بل ومن أجرئهم مهاجمة لخصومها(**الفاروق، ع66، 1914/06/22**)، نشر له الفاروق سلسلة مقالات في هذا الموضوع تحت عنوان «المفاوضات الاستنهاضية» (**الفاروق، ع72، 1914/08/03، والأعداد التي تليها**).جاء في بعضها داعياً الصحفيين التونسيين إلى الانخراط في جماعة التعارف الإسلامي «.. فيا بلاد شمال إفريقيا علقي حبال آمالك بهذه الجماعة فلسوف تبرز شمس الحقائق وتبدو للجاد الطرائق وتسطعُ الأنوار وتظهر الأسرار...» (**الفاروق،ع72، 1914/08/03**).

لقد صدرت في تونس بُعيد انتصاب الحماية الفرنسية عدد من الصحف والمجلات ذات الطابع الإصلاحي والثقافي العام، وزيادة على الحاضرة التي أسّسها الجزائري علي بوشوشة«**1859 – 1917**» وسبيل الرشاد التي أسّسها [الجزائري الأصل] عبد العزيز الثعالبي«**1874- 1946**»م والسعادة العظمى ومؤسسّها الخضر حسين، ظهرت أيضًا بعض الجرائد الهزلية والنقدية الساخرة سواء منها الناطقة بالعربية أو بالفرنسية، وكان للصحفيين الجزائريين فيها مساهمة متميزة تأسيساً أو اشتراكاً، ومنهم الهاشمي المكي الذي بدأ حياته في ميدان الصحافة بإصدار جريدة إسلامية أسبوعية مناهضة للاستعمار سماها "الإسلام" (**الزمرلي.ص، 1986م، 134 – 140**) وسخّرها للدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف وإعلاء كلمة المسلمين، وقد صدر منها عددان فقط، الأول في 10 جوان والثاني في 17 جوان من سنة 1908م، وإثر ذلك أصدرت سلطة الحماية

قراراً مؤرخاً في 24 جوان 1908م يقضي بتعطيل جريدة "الإسلام"، بدعوى تعكير صفو الأمن العام(**حمادي.س، 1996م، 33**)- راجع أيضًا: **C. D. N, A3-53**- (**بن عاشور.م.الفاضل.1381ه، 46**)- (**الشهاب، 1937/09م**)- (**أحمد. خ، 1979م.50- 53**)– (**شوقي.أ، 1991م.119- 121**)- (**الجندي.أ، 1965م، 123- 126**)– (**الخريف.ص، 1995م، 533**)..

ولكن الهاشمي المكي لم يستسلم للأمر الواقع، فبذل قُصارى جهده لإصدار جريدة هزلية أخرى لتعويض جريدته المعطّلة، وأطلق عليها اسم «أبو قشة جريدة كشكولية هزلية جدية حساسة الشعور تجسّم اللب في قالب القشور»، وقد سخّرها لتحقيق غرضين اثنين أولهما الإصلاح الاجتماعي والديني حسب تعاليم جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومقاومة البدع المنافية لروح الدين الإسلامي الحنيف، وثانيهما مقاومة الاستعمار الفرنسي. (**حمادي. س، 1992م، 256**).

وقد بلغ هذه الغاية المزدوجة عند استعمال اللغة الدارجة والشعر الملحون لأول مرة في تاريخ الصحافة التونسية وذلك لإيقاظ الشعب وتوعيته، كما التجأ إلى نشر بعض القصائد من الشعر الشعبي الملحون، مثل قصائد الشاعر قاسم شقرون لتوعية الجماهير التونسية، وتحقيق الأغراض السياسية والاجتماعية التي كانت ترمي إليها جريدته.

وتجلت في جريدة أبوقشة بكل وضوح الروح الوطنية التي أخذت تنتشر في تونس قبيل الحرب العالمية الأولى من خلال الصحف التونسية الناطقة بالعربية، فلننصت إلى صاحبها وهو يختم إحدى افتتاحياته بقوله: «يا أيها الناس كونوا أحرارًا مستقلي الفكر في ثوب من الإطلاق رافلين وألهجوا (كذا) دوماً بذكر الحرية وذكر رجالها، علّ تنبعث فيكم من وراء

ذكرها روح جدد تبعثكم على الاقتداء بمن تسربل بها، إذن فلتعش الحرية وليعش أنصارها والداعون لها»(**أبو قشة، ع19، 1908/12/19م**)، ونشر الهاشمي المكي في نفس العدد تعليقًا مطولاً بمناسبة الحكم عليه بالسجن مدة شهر وبغرامة مالية قدرها (500 فرنك)، وقد صدَّره بهذين البيتين من الشعر الملحون(**أبو قشة، ع19، 1908/12/19م**):

خدمــة جريـدة ❖❖❖ يلزمها مثيّقات عديدة

مرة ربطة ومرة تهديدة ❖❖❖ الكل عندي كـلاش

وبعد مدة قليلة ضاقت السلطة الاستعمارية ذرعاً بانتقادات الهاشمي المكي، فاتخذت قراراً مؤرخاً في 27 جانفي 1909م يقضي بتعطيل "أبو قشة" بدعوى أنها نالت من هيبة الدولة وتطاولت على رجالاتها فارتحل الشيخ إلى طرابلس حيث أصدر جريدة من جديد، ثم تحوّل إلى تركيا ومنها إلى جاوة في أندونيسيا فاستقرّ بها إلى آخر حياته، وأصدر هناك جريدة عربية جديدة بعنوان «بوربو دور».

كما أصدر الجزائري "محمد الصحبي بن المكي"، جريدة هزلية بعنوان "أبو خلف" في 07/ 09/ 1910م ولم يظهر منها سوى خمسة أعداد، وأصدر الجزائري الآخر بن عيسى بن الشيخ أحمد الجزائري (1880- 1957)م جريدة فكاهية انتقادية بعنوان"جحا"ظهر عددها الأول يوم 1909/07/15م، وسارت في منهج "أبو قشة"، تقاوم البدع وتدعو الشباب إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والإقبال على طلب العلم، وكانت تنشر الفصول والمقالات المحررة باللغة الدارجة والملزومات والأزجال من نظم كبار شعراء الملحون أمثال: قاسم شقرون، وأحمد بن موسى، وعبد الرحمان الكافي وأخيراً أصدرت الحكومة قراراً مؤرخاً في 10/19/ 1910م يقضي بتعطيل هذه الجريدة(**حمادي. س، 1992م،**

257).، بعدها بعشرة أيام أصدر بن عيسى بن الشيخ أحمد جريدة "جحجوح" لكنه تمّ حجز العدد الأول المؤرخ في 10/20/ 1910م قبل توزيعه، وفي 1911/01/26م عاود الشيخ بن عيسى الكَرة وأصدر جريدة الضحك التي استمرت في الظهور إلى أن أوقفتها الحكومة في نوفمبر 1911م مع جميع الصحف التونسية الأخرى.

وفي أوائل سنة 1920م قرر المقيم العام الفرنسي الجديد "فلاندان" رفع الحظر على الصحافة التونسية بعد احتجاب ثماني سنوات وثلاثة أشهر، فظهرت بعض الصحف التي أوقفتها الحكومة في نوفمبر 1911م، من ذلك أن بن عيسى بن الشيخ أحمد قد أعاد إصدار جريدة "جحا" ابتداءً من يوم 06 مارس 1920م، ورغم انتهاج الجريدة سياسة معتدلة، فقد أوقفتها الحكومة يوم 1921/01/23م بتهمة التهجم على أحد أفراد العائلة المالكة، وعندئذ أصدر صاحبها من جديد جريدة الضحك ولم يظهر منها سوى ثمانية أعداد حتى أوقفتها السلطة فعوّضتها جريدة "جحجوح" التي تعطلت بدورها في 1921/10/05م **(حمادي. س، 1996م، 259)**، وللمكي كامل بن عزوز الجزائري عدة كتابات صحفية ساهم بها في تنشيط الساحة السياسية التونسية.-**C. D. N, B2. 61, doc n°(1-2-3-4-5)**

أما الجرائد التي نالت رواجاً في الميدان الثقافي والإصلاحي والأدبي بتونس كجريدة "العدلية" التي مثّلت الشباب التونسي في الميدان الأدبي لصاحبها الهادي بن أحمد عباس فقد شاركه في تحريرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي بمقالاته الشهيرة وقلمِه النابه، وكانت أول جريدة وطنية تصدر بالفرنسية هي "بريد تونس" لعبد العزيز الثعالبي التي تطوّر برنامجها مع الزمن وأصبحت تُطالب بتمثيل التونسيين في المجلس

الاستشاري، ودافعت بشدة على مسألة تعليم التونسيين، كما أن الثعالبي موازاةً مع ذلك كان يحرر القسم العربي بجريدة "التونسي" ابتداء من شهر أكتوبر 1909م سماه الاتحاد الإسلامي **(مناصرية.ي، 1988م ، 27-28)**- راجع أيضًا: **C. D. N, A3, 39**.

ومن الجزائريين المشتغلين في الصحافة التونسية أيضاً حسين الجزيري، الذي بدأها منذ عهد شبابه الباكر، فكان في سنة 1910م يُحرر افتتاحيات جريدة اللواء التونسية، وكان كاتباً بجريدة المنار التونسية ومراسلاً لجريدة الفاروق الجزائرية، كما كتب في الصحف الهزلية لميله إلى الفكاهة، فحرّر بجريدة "المضحك" وكتب في جريدة "جحا" مدة طويلة، وفي الوقت نفسه كان يقوم بوظيفة الملقّن لجمعية "الشهامة العربية" التمثيلية وهو لا يزال طالبًا بالجامع الأعظم، وفي 12 فيفري 1921م أصدر جريدة "النديم"وهي أسبوعية أدبية فكاهية، فأظهر نشاطًا كبيرًا في إدارتها ومجهودًا أكبر لتنظيم بروزها، فهو القائم بجميع شؤونها ومحرر جميع فصولها، وبين الحين والآخر يُصدر منها عددًا ممتازًا يكتب فيه بعض الكتّاب اللامعين المشهورين كالشيخ راجح إبراهيم،والأكودي، ومحمد الصالح المهيدي، ومحي الدين القليبي... وغيرهم، وهي صحيفة من نوع جديد لم يسبق لها مثيل في تونس، تجمع الأدب والفكاهة وحسن استغلال إيحاء اللفظة العامية الدارجة للنكتة مع الروح الأدبية الممتزجة بها ومظهر الانفعال الذي يتجسد في كتاباته كلها عناصر جذابة للقراء **(محفوظ.م، 1982 .29-30)**.

ولقد زاول حسين الجزيري تعلمه بالكَتّاب ثم بجامع الزيتونة سنوات قلائل حيث وقع رَفته بسبب ما أبداه من نشاط في أول إضراب شنّه تلاميذ

الزيتونة في 15 مارس 1910م فاحترف الصحافة ومكث بها حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى ولمجرد تهمة ملفقة دخل الجزيري السجن ولم يخرج منه إلا بعد الهدنة، وبعد خروجه من السجن استأنف العمل في جريدة "المضحك" وانخرط ضمن معاوني الوكلاء والمحامين، وفي السجن كتب من بين ما كتب قصيدته"صوت من السجن" **(المنصف.ش، 1997م. 264)**؛ قال عنه عمر بن قفصيّة: «لذيذ الأسلوب، فَكِه التحرير حلو الشعر، مرّ التنكيت، يبكت خصمه ولا يتركه إلا على نعشه، مقصه حاد بقطع حتى رقاب العباد، ولولا خفة روحه لرأيت له خصومة في كل حومة».**(بن قفصية.ع، 1972م، 92).**

فقد كان الجزيري يغتنم الفرصة للتعليق على الأحداث ودور بعض الأشخاص فيها بروح نقدية ساخرة لاذعة تثير الضحك، ويستعين بكل الوسائل الأدبية لإظهار ما يرمي إليه كالاستعانة بالأمثال الشعبية والنظم الشعبي الملحون وهو من البارعين فيه، والأبيات الشعرية السائدة والوصف الوجيز الجامع للحقيقة والشواهد على هذا كثيرة في جريدة "النديم"(**المدني. أ، 1976م، 265- 67**)، وعمومًا فأدبه النثري والشعري تسري فيه الروح الفكاهية النقدية المضحكة مع هدف واضح إلى الإصلاح، قال عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مُبينا ميزات شعره ونثره: «أما حسين الجزيري فإنه في شعره يتلاقى مع نثره في مؤثراته وأغراضه فهو ساخر متهكم يستخرج الضحك من روح الألم ويتخيّر الألفاظ ذات الوقع المطلوب من اللغة الفصحى أو اللغة العامية ومدار شعره كمدار نثره على روح الكفاح السياسي والإصلاح الاجتماعي»(**بن عاشور.م الفاضل، 1983، 145**) ومن أشهر قصائده الفكاهية قصيدته في رمضان التي كان يحفظها أطفال المدارس وينشدونها في نشوة طالعها:

فرحَت بمقدمه بطون الناسِ ❖❖❖ شهر تحنّ لذكره أضراسي

ويلاحظ براعته في استخدام العبارة العامية في مطاوي القصيدة وبراعته في تضمين الشعر القديم وإخراجه من الغرض الذي قيل فيه إلى الغرض الذي يريده بلباقة كما في الشطر الثاني من البيت الأخير من قصيدة عجائب السجن وهو عجز بيت للمتنبي:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ❖❖❖ مصائب قوم عند قوم فوائد

والقصيدة تكشف عن نظام السجن والأخلاق المتدنية عند بعض المسجونين، لكن جريدة "النديم" الغرّاء احتجبت في مدة الحرب العالمية الثانية ولم تصدر بعد ذلك، فأصبح حسين الجزيري يحرر افتتاحيات جريدة "الزهو" وكان له في نفس الجريدة (الزهو) باب عنوانه "نقرات على أوتار" كما قام بوظيفة المحرر بوزارة العدلية ثم عمل بعد الاستقلال بالإذاعة كمراقب للتمثيليات إلى أن وافاه الأجل أواخر سنة 1974م **(المنصف،ش، 1997م. 266)** كما كان لحسين الجزيري إبداع في التأليف النثري والشعري منها رسالة طبعها بالجزائر هي "تنبيه الغلام إلى شيَم الكبار" وفيه نصائح وتوجيهات ترمي بالشباب إلى بلوغ درجة الكمال، وكذا ديوان شعر طبعه بتونس.

وإذا كان التفتح والابتكار ومسايرة الأحداث من سمات الصحيفة الناجحة فإن هذا ما توفر فعلا لجريدة (لسان الشعب)، الأسبوعية بفضل مهارة ومقدرة صاحبها ومؤسستها السيد البشير الخنقي الجزائري الذي أصدرها سنة1291هـ/ في صفحتين لمدة عامين ثم طورها إلى أربع صفحات وإلى ستة في بعض الأحيان(**C. D. N, B2-2**)وكان الشعار الذي إلتزمه الخنقي طوال حياته الصحفية هو الدفاع عن مصالح البلاد ومؤازرة العاملين مع الحرص كل الحرص على عدم خدمة هيئة بعينها أو جمعية

بذاتها ومما يحفظه التاريخ له بمزيد الإعجاب أنه أُغرى بعشرة ألاف فرنك من حركة النادي التونسي ليكون لسانها الناطق ويفسح مجال جريدته لأقلام معتنقيها فأبى ذلك بكل شمم ولم يضعف رغم تعدد العرض وتنوّع المساومات.**(بن قفصية.ع، 1972م، 155)**.

وقد بدأ البشير الخنقي عمله الصحفي سنة 1911م، بمراسلة جريدة (الكامل) الصادرة بحيفا بفلسطين الضائعة.. كما راسل جريدة (البلاد) اللبنانية، وقد كتب بإمضاءات مستعارة في أشهر الصحف التونسية، ومما يلاحظ أن كتابة الخنقي لا تعقيد فيها ولا إطالة، إذ أنها نوع من التراسل سهل الفهم، سريع الهضم، خال من الاستطراد الذي يُطوّح بالقراء في متاهات الضياع **(بن قفصية.ع، 1972م، 155)**.، والبشير الخنقي ولد بتونس من أب جزائري الأصل وتعلم بالزيتونة، وساهم بنصيب موفور في إيقاظ الشعور الوطني بقلمه وعمله «فهو يُبشرك بكل انتصار وبكل هزيمة للخارجين فترى لسانه دائم الالتواء لا يميل إلى الانزواء له مكاتب للمحابر والدفاتر وللصحف والمجلات وله مجلس في مفترق الطرقات وهو ذو انتباه لم يهمل بلاده من كل المسالك وذو اشتغال بالأخبار عما هو حاصل في مختلف الممالك ولكن بتضامن مشتركيه قد بخلوا وقصّروا، وتركوه ينادي تعالوا وانظروا ...». **(بن قفصية.ع، 1972م، 91)**.

كما صدرت منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر عدة صحف تونسية ناطقة باللغة العربية من أشهرها جريدة الزهرة التي سيكون لها شأن عظيم في تاريخ الصحافة التونسية، وصاحب هذه الجريدة هو الجزائري عبد الرحمان الصنادلي (1850- 1935)، وقد ولد بتونس من أسرة جزائرية، هاجرت إلى البلاد التونسية قبل انتصاب الحماية في سنة 1881م وبعد أن زاول دراسته بجامع الزيتونة تحوّل إلى القاهرة حيث

التحق بجامع الأزهر لمواصلة دراسته العليا، وإثر عودته إلى تونس أصدر في سنة 1830م جريدة نصف أسبوعية أطلق عليها اسم "الزهرة" التي عطلتها السلطات الاستعمارية مرتين بسبب مواقفها الوطنية، ثم عادت إلى الظهور في شكل جريدة يومية مسائية، وكانت الصحيفة العربية الوحيدة التي نجت من التعطيل إثر حوادث الجلاز(1911/11/07)م، **(حمادي. س، 1992م، 425)**. راجع: **C. D. N, B2-66, doc n° 31 et 37**

كما أنها كانت في عصرها الجريدة العربية اليومية الوحيدة بتونس بل وفي المغرب العربي كله، ودام ذلك ما لا يقل عن خمسة عشرة عامًا حتى برزت جريدة النهضة اليومية عام 1923م. وللصنادلي في مناصرة الضعفاء مواقف مشرفة نذكر منها على سبيل المثال. موقفه في الدفاع عن المساجين (جقار)، وحملته المشهورة ضد القساوة التي يستعملها الحراس معهم حتى وصل الأمر إلى دفن الأحياء، وكان من أثر تلك الحملة أن أخرجت جثث الأموات من القبور ووقع الكشف عنها من طرف الأطباء بحضور قضاة التحقيق، وكذلك حملته على أداء الصانتيمات الإضافية وإرهاق الفلاحين**(بن قفصية.ع، 1972م 63- 64)**، وزبدة القول أن الشيخ الصنادلي من كبار كتّاب العربية وأبرز الصحافيين في المغرب العربي وقد خدم أمته ووطنه والعرب المسلمين عامة بقلمه وجريدته طيلة نصف قرن.

وزيادة على صحيفة الزهرة، هناك صحيفة أخرى بارزة لعبت دورًا أساسيًا في التعريف بأحداث الجزائر الداخلية وكان لها مراسلون من الداخل الجزائري، وهي صحيفة (المشير) التي صدرت سنة 1911م وكان مراسلاها من الجزائر عَلمان بارزان هما عمر راسم، وعمر بن

قدور(**الجابري.م. الفكر، ع07، 1984/04م، 108**)، وكان رئيسها الجزائري الطيب بن عيسى الذي ولد بتونس سنة 1885م من أسرة جزائرية الأصل، وبعد انتهاء دراسته بالزيتونة والخلدونية اقتحم ميدان النشاط الصحفي فأصدر في مطلع سنة 1911م جريدة المشير التي احتجبت في نفس السنة، مثل باقي الصحف العربية إثر حوادث الجلاز، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أعاد إصدار جريدته في سنة 1920م لكن السلطة قد عطلتها بعد مدة قصيرة من صدورها، فأصدر إثر ذلك جريدة "الوزير" التي استمرت في الظهور سنوات عديدة، والتحق بالحزب الدستوري منذ تأسيسه وعُين عضوًا في لجنته التنفيذية، لكنه سرعان ما انفصل عن الحزب ليَنظم إلى الحزب الدستوري المستقل الذي لم يُعمر مدة طويلة مثله مثل الحزب الإصلاحي(**B2-66-doc n°31et C. D. N 37**) الذي أنشأه الجزائري حسن قلاتي قال عنه بن قفصية: «استوزر في دولة صاحبة الجلالة (الصحافة)، فكان مشيرها ومستشارها في محلياته وخارجياته، ومتفرقاته فهو وزير عاقل ومشير لبيب في مقام طبيب، ولقد جاهد كثيرًا في حياته الصحفية، وامتحن ولم يفز إلا برضى القرّاء الذين لم يهمهم غنى أو فقر الكاتب» (**بن قفصية.ع، 1972م، 91**).

2. النضال الصحفي الجزائري في الصحافة التونسية خلال الفترة(1921- 1945)م

بالإضافة إلى المهاجرين الجزائريين الذين ذكرناهم سلفاً، وعرفوا بمواقفهم العلنية، وتضامنهم المطلق مع الوطنيين التونسيين، ومارسوا كفاحًا عمليًا في إطار الحزب الحر الدستوري، فإننا نطالع خلال الفترة (1921- 1945)م كتابات متعددة لبعض الجزائريين الآخرين، من طلبة جامع الزيتونة ومن رجال الحركة الوطنية الجزائرية المقيمين داخل

الجزائر، وتتضمن هذه الكتابات تعريفًا بالجزائر، وانشغالاً بأوضاعها ودعوة مُجاهدة ومُلحة للتعرف عما يحدث في أنحائها مما يجعلنا نصنفها في عداد الكتابات الهادفة إلى مجابهة الاستعمار ونصنف أصحابها بين هؤلاء المكافحين بالقلم الذين حاولوا خدمة بلادهم في ظروف عويصة محفوفة بالمحاذير والأخطار.

وقد عاضد هذه الحركة الزاخرة من لدن الطلبة الزيتونيين في الصحافة التونسية صدور عدد من الصحف الوطنية الجزائرية التي كانت تنزع منزعًا إصلاحياً وطنياً، التي شرعت بدءًا من منتصف عشرينات القرن الفارط تبث الوعي الديني والسياسي، وتطلُ على القارئ التونسي في تونس حيث كانت توزع توزيعاً واسعًا، وتُلاقي الابتهاج والثناء عليها من مختلف الصحف الوطنية التونسية.

في يوم كان السعيد الزاهري طالبًا في تونس كانت له صلات أدبية وصحفية وثيقة بالصحافة هناك، وكانت جريدة النهضة التونسية تعتز بإنتاجه وتنشره بعناوين بارزة، وفيها نشر الكثير من قصائده، كما نشر الزاهري في الشهاب مقالاً بعنوان «داء دفين في جامع الزيتونة»(**الشهاب، 12/ 1933م**)، انتقد فيه بعض الأوضاع السائدة في الجامع واسترسل في طرح وجهة نظره مقدمًا الحلول والبدائل لتصحيح الأخطاء وعلاج الداء، كما نشر عدداً من المقالات في جريدة "الوزير" لصاحبها الطيب بن عيسى، منها مقال تحدَث فيه عن خصوصية الوحدة المغاربية قائلاً: « إن تاريخ المغرب هو تاريخ واحد متصل تمام الاتصال بعضه ببعض، حتى لا يقوم تاريخ تونس مثلاً بدون تاريخ الجزائر ومراكش، إلا كما يقوم عضو من أعضاء الإنسان بدون غيره من بقية الأعضاء.. وسواء استقام تاريخ كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة على حدا، أم لم يستقم فإن

تاريخها جميعًا شديد الاتصال» **(الخريف. ص، 1986م.164)**. ذلك أن الروابط الطبيعية التي لا تربط بعضها بعضًا كثيرة جدًا زيادة على رابطة التاريخ فإن كل المغرب اليوم هم سلالة منحدرة من البربر والعرب، وهناك رابطة اللغة والدين وكذا رابطة العادات والأخلاق المتقاربة. **(الشامي.ع، 1980م، 29.15)**.

لقد ساهم الزاهري في عملية النشر الجزائري بالصحافة التونسية بمقالاته التي نشرها في جريدة "الوزير" التونسية حيث استقطبت اهتمام قراء الجريدة، بما فيهم رئيس تحريرها الطيب بن عيسى الذي مهّد لإحدى مراسلات الزاهري بمقال عنوانه: (حول المقالة القيّمة) قائلاً : « وردت علينا مقالة ممتعة أتى بها بريد تلمسان من الأستاذ المفضال، والبطل المغوار الشيخ محمد الزاهري يدعو فيها إلى إيجاد وحدة "مغاربية" تشمل تونس والجزائر والمغرب الأقصى إذ في ارتباط المغربيين [المغاربيين] ببعضهم من جميع النواحي والوجهات فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى»، حيث قال الزاهري: « فلنعمل على تقوية الرابطة الإسلامية وإحيائها بين أقطار المغرب الثلاثة، ولنسم أنفسنا أبناء المغرب ولنسعى في إحياء مجد المغرب، ولندعُ إلى الوحدة المغربية ».**(الوزير، 1929/4/4م)** طالع أيضًا، **(الوزير، 1929/03/21م)**.

كما تلَقت جريدة النهضة التونسية رسائل قليلة منه حاول فيها تصوير ما يجري في الجزائر على مستوى القوانين والتشريعات والصراعات السياسية، وفي إحدى هذه الرسائل نراه يُطلع القرّاء التونسيين على شروع الحكومة في تطبيق القانون الذي صدر سنة 1919م، ولم يتسن تطبيقه إلا في سنة 1925م وهو المتعلق بمنح بعض الامتيازات الانتخابية لبعض الأهليين في المجالس البلدية، إذ ينص القانون الجديد على انتخاب عضو

أهلي من أعضاء المجلس البلدي سمي «جوان مير»، له النظر الواسع في أمور المسلمين، وينتخبه أعضاء مجلس الأهالي والفرنسيون انتخابًا حرًا كما ينتخب شيخ المدينة... **(النهضة، 1925/05/22م)**.

كما اهتم أبي اليقظان اهتمامًا شديدًا من خلال رسائله في جريدة "المنير" تحت عنوان: «الرسائل الجزائرية» بمعالجة الواقع المحلي للجزائر وتوجيه النصائح إلى عموم الجزائريين داعيًا في نفس الوقت إلى الإتحاد والتضامن والتأكيد على الشخصية الجزائرية، ومثلما ندّد أبو اليقظان بالجهل والخيانة والتهور والاستغلال والزيغ، نراه يندد بالسلطة الاستعمارية جهارًا ويوجه الرسائل عبر الصحافة إلى القائمين عليها أمثال"جناب مسيو إيبل"، الذي أصدر قرارًا يمنع رواج الصحافة التونسية التي كانت المدد الروحي الوحيد الذي يغتدي منه القراء في الجزائر، وبمناسبة هذا القرار الجائر لم يستطع أبو اليقظان السكوت والإغضاء بل فضّل مخاطبة "إيبل" عبر الصحافة التونسية نفسها لإحراج موقفه والتشنيع به لدى الرأي العام في تونس والجزائر معًا مخاطبًا إياه في حماسة وصراحة قائلا:« فهذه الصحافة التونسية قد قضت عليها السياسة العصرية بالتعطيل عنّا، وحاولت بذلك حرماننا من القراءة والكتابة بلغة ديننا وبلادنا والتجهيز(كذا) على ما بقي لنا من رمق الحياة وقتل حياتنا الأدبية صبرًا بعد حياتنا المادية جوعاً»**(المنير، 1921/02/11)**.

وفي مقال له بعنوان: « الصحافة مرقاة للحياة ومرآة الحياة»، نشر أبا اليقظان إحدى قصائده المطولة يشرح فيها دور الصحافة في حياة الشعوب الراقية المتقدمة كما هنّأ الصحافة التونسية التي عادت بعد احتجاب، معربًا لها عن الوفاء مشيدًا بمختلف الأدوار التي قامت بها

في نهضة المغرب عمومًا، مستفزًا همّة الجزائريين كي يقوموا بإصدار صحف مماثلة(**الزاهري.م. الهادي، ج1، 1926م، 116**) :

وصحافة الخضراء إذا برزت لنا ❖❖❖ بعد احتجاب عمره سنوات

يا شمس تونس إن أصابك كسفهم ❖❖❖ فلقد أصابت شمسنا ظلمات

لو لم يغب في السجن يوسف ما أضحى❖❖❖ ملكًا تؤدى عنده السجدات

أفلا يكون مسليًا لك ما نرى ❖❖❖ إذ منك دبت في الشعوب حياة

وهكذا نرى الشاعر يُمثّل احتجاب الصحافة عن الصدور بالليل الطويل الممتد، وبالظلام الذي يصيب العقول والديار على السواء لأنه كان أكثر القوم تعلّقًا بهذه الصحافة وأكثرهم إحساسًا بمسؤولية الصحفي الوطني، وبحكم معايشة الشاعر (أبي اليقظان) لهذه الصحف ووجوده في تونس في هذه الفترة ومساهمته بالكتابة في جريدة (المنير) خاصة فإننا لا نستغرب منه الحرص على العودة، ولا ذلك الوفاء السخي المتصل، فقد أولى قضايا المغرب الكبير اهتمامًا مميّزاً في صحافته وتجاوز عمله فيه من المساندة إلى التنفيذ، ذلك أنه فتح صحفه على مصراعيها لمساهمة الكتاب التونسيين أمثال: عثمان الكعاك الحبيب الخلصي، محمود بورقيبة الشاعر، وعرفت جريدته "النور" رواجًا في تونس أكثر منه في الجزائر، إنّ هذه الفكرة التي حملها أبو اليقظان كانت نابعة من إيمانه العميق بالمصير المشترك لبلدان المغرب الكبير التي اعتبرها كالجسد الواحد(**قاسم .ش،_الموافقات،ع05. 06/ 1996م،507**)، وهو يرى أن العسف والإرهاب الاستعماري سواءً كان في تونس أو في الجزائر إنما هو بمثابة تشحيذ لعزائم أهل الشمال الأفريقي كلهم، فنجده ينادي الأشقاء التونسيين بالصبر والاحتمال وأن لا يضيقوا من سياسة الضغط والعسف فليس هناك قوة في الدنيا ترد الهلال عن الاكتمال. (**الأمة،**

ع76، 1936/05/26م)، للتوسع راجع أيضًا، (الأمة، ع130، 1937/7/02م).

لقد كانت صحف أبو اليقظان التي أصدرها في فترة العشرينات والثلاثينات هي مدار جهاده الإسلامي بالدرجة الأولى فمن خلالها كان يبلّغ أفكاره الإصلاحية إلى كل أنحاء القطر الجزائري وكذا الأقطار الإسلامية الأخرى خاصة منها تونس، وهذا التفاعل يبدو جليًا في كثرة مقالاته عنها، وفي ذلك الأسلوب الحماسي المتهيّج الذي يريد من خلاله أن يُوقظ الشعوب الإسلامية، ويدفع بها مع غيره لأجل رفع راية الإسلام بالإصلاح والنهضة(ناصر. م، الثقافة، ع27، 09- 1974/10م، 63).

وفي هذا السبيل عمل الشيخ أبو يقظان على إنشاء صلات وثيقة مع زعماء الإصلاح في تونس من ذوي النزعة الوطنية الإسلامية الصادقة، أمثال عبد العزيز الثعالبي وسالم بن يعقوب بجربة، ومحي الدين القليبي والمحامي أحمد الصافي والأستاذ الشاذلي المزالي، وزين العابدين السنوسي صاحب مجلة "العرب"، ذلك أنه خصص في صحفه مجالاً واسعاً لتتبع أحداث تونس والاهتمام بقضاياها، والمساهمة بأفكاره وآراءه في شؤونها، ويمكن حصر محاور هذه المقالات فيما يلي:

- تفرق المسلمين في تونس واختلافهم وخطر هذا عليهم.
- التنديد بأعداء الإسلام والتشهير بمخططاتهم.
- دعوتهم إلى التضامن وعرض الحلول الممكنة للتغلب على هذا الواقع المرير.

إن هذه المحاور التي رسمت اهتمامات صحف أبي اليقظان كانت استجابة لذلك الإيمان العميق والراسخ بفكرة الإصلاح وإحداث النهضة في المجتمع الإسلامي والتحرر من عبودية الاستعمار بكل أشكاله، ومن

مساهماته الصحفية دفاعًا عن المسلمين في تونس، رده القوي على كاتبة فرنسية تدعى(مدام سيلاربي)، بمقالة نشرها في جريدة وادي ميزاب(**وادي ميزاب، ع107، الجزائر: 1922/11/02م**)، بعنوان:" كيف يفهمون الدين"؟ هذه الكاتبة زارت تونس وحررت مقالاً عما رأته من تكاثر الشحاذين والمتسوّلين، ساخرة مزدرية بالإسلام مدعية بأن أولئك الأشكال من الناس هم تحت رعاية محمدﷺ ، فغضب أبو اليقظان لذلك معتبرًا هذا العمل قلبًا للحقائق وتسفيهاً للحق، وتعصباً ضد الإسلام والمسلمين في تونس، ثم شرح لهذه السيدة أن ما عليه المسلمون الآن في تونس، إنما سببه الأساسي هو ذلك الاستعمار الأوربي الحقود الذي أبقى هذه الشعوب على تلك الحالة وغلق كل منافذ التحضر أمامها.

ولتقدير النضال الصحفي لأبو اليقظان بتونس يكفي أن نذكر بأن جريدته وادي ميزاب التي صدرت يوم 1926/10/01م كانت تطبع بتونس وتوزع بالجزائر(**الزبير. س، الأصالة، ع(14/ 15)، 284- 289**) وكان أول الداعين لتأسيسها والعاملين على صدورها الأستاذ محمد بن الحاج صالح الثميني وهو الذي تولى رئاسة تحريرها وطبعها بتونس والإشراف على تصحيحها وتوجيهها جاهزة للجزائر، بل أن جُلّ جرائد أبي اليقظان كانت تطبع بالمطبعة التونسية ثم انتقلت إلى المطبعة الأهلية بنهج الديوان فطلبت الحكومة الاستعمارية بالجزائر من حكومة تونس عدم السماح بطبع جرائد أبي اليقظان بتونس إلا برخصة من حكومة الجزائر، وآنذاك اضطر أبو اليقظان لطبع جرائده بمطبعة المغرب التي كان يملكها ابن عليوة بعاصمة الجزائر ومديرها الأخضر عمروش رئيس تحرير "البلاغ الجزائري" سنة 1929م(**مفدي. ز، 2003م.167**).

وهذه الشذرات القليلة من نضالات أبي اليقظان المنشورة بالصحف التونسية لا تدل فقط على همة ووطنية صاحبها، ولكنها تؤرخ لحركة الوعي السياسي والحضاري التي قادها ثلّة من الوطنيين الجزائريين الذين اتخذوا من تونس منطلقاً، ومن صحافتها منبراً ومن مخاطبة الشعبين التونسي والجزائري بداية "لحوار حول وحدة هذه الربوع ولبنة في الصرح المغاربي والعربي المؤمل، ثم ما لبث جهاد الوطنيين الأوائل أن حرَّك أقلام الطلبة والعلماء والسياسيين وأقلام كتّاب الجزائر وأثار فيهم النخوة للكتابة عن الأوضاع الداخلية في رسائل كانت تنشرها الصحافة التونسية وتُطلع الرأي العام من خلالها على الظروف الصعبة والأوضاع المتردية التي كانت تعيشها الجزائر في ظل احتلال غاشم، إن نفس الأفكار المحرضة على حرية القول وعلى الدعوة إلى أن تنهض الصحافة بواجبها كاملاً تجاه الشعوب المغربية وخاصة تونس والجزائر التي نادى بها كل من الزاهري وأبو اليقظان، ظلت تتردد في معظم ما كتب الجزائريون المهاجرون في تونس من قصائد تتناول دور الصحافة في المناسبات التي تقتضي تهنئة جريدة من هذه الجرائد أو إبداء الأسف على احتجابها، ولعل أكثر هؤلاء وفاءً للجريدة التي رعته وبرت بمواهبه الطالب حمزة بوكوشة (شنوف) ، الذي نجده يلتزم الكتابة في جريدة (الوزير) **(بن قينة. ع، 1993م، 375 –385)**، فقط سواءً إبان إقامته للدراسة بتونس أو عند عودته إلى الجزائر، وقد توثقت هذه الصلة بين الشاعر وأسرة التحرير من مجرد اعتباره كاتباً وشاعراً جزائرياً يُحرر بعض الخطرات من حين لآخر إلى صداقة توثقت عراها بينه وبين مدير الجريدة الشيخ الطيب بن عيسى الجزائري الأصل، وبين الشاعر التونسي

محمود بورقيبة الذي كان يشرف على تحرير الأركان الأدبية بنفس الجريدة.

ولئن لم تُشر الصحافة التونسية إلى أي زيارة يمكن أن يكون الشيخ مبارك الميلي قد قام بها إلى تونس منذ مبارحته لها في سنة 1924م مع اهتمامها الجلي بكل الزيارات التي أداها أعضاء جمعية العلماء، فإن بعض المجلات التي صدرت بتونس احتفظت لنا برسالتين فقط كان الميلي أرسل بهما إلى بعض الأوساط العلمية الجزائرية والتونسية بتونس في مناسبتين خلال سنة 1937م المناسبة الأولى هي احتفال جمعية الطلبة الجزائريين بذكرى الهجرة النبوية وقد وجهوا الدعوة إليه لحضور احتفالهم فلما تعذّر عليه الحضور كتب إليهم خطاباً توجيهياً لمساندة نضالهم ومباركة جهودهم **(الثمرة الأولى، 1937م، ص88)**، أما المناسبة الثانية فكانت خطاباً كتبه إلى أعضاء أسرة تحرير المجلة الزيتونية عندما اتصل بالعدد الثالث من مجلتها وقد ضمن هذا الخطاب جملة من الملاحظات التي عزّ له إبداؤها حول المجلة ومنهجها ومضمونها العلمي، وتقديراً من المجلة لأهمية هذا الخطاب ومكانة صاحبه العلمية واعتزازاً بما ورد فيه من آراء وأفكار، وإن كانت في غير صالح المجلة، فقد بادرت بنشره لصدوره عن «عالم صديق فاضل» كما وصفته المجلة حيث كانت غاياته نبيلة ومقاصده شريفة وغيرته مشروعة **(الجابري.م، 1990م، 58)**.

وهذا بعض ما جاء في هذه الرسالة:«...نكتب هذا وبين أيدينا أثر من آثار ذلك الجامع المغمور، هو "المجلة الزيتونية" الممتعة يحمل عرشها أربعة

من شيوخه المدرسين وفتيانه الأقوياء.. ولا أنتقل قبل أن أبدي شكري لرجال إدارة المجلة وإعجابي بمهمتهم لنهوضهم بهذا العمل الجميل، ولحفظهم لذلك العهد عهد اجتماعنا في الطلب وإن تطاولت عليه حقب، ثم لنعد إلى مجلتنا فلننتظرها بعين ذلك الهوى العاقل في غير تعصب أو احتقار، فإنّ نجدها روضة باسقة الأغصان وارفة الظلال متنوعة الأشجار ناضجة الثمار... وإن الذي سرني جداً وملأني ثقة بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك إمضاءات فتية ناشطين بإمضاءات شيب متبصرين...(وهذا) ما ينشر بثبوت قدمها في سلم الكمال ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال، ويربي النشء على احترام الكبار، ويدعو الكبار إلى مشاركة الشبان، وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاءً على الجمود وسلامةً من التطرف».(**الزيتونية، ج7، مج1، 47- 48**).

ويبدو أن التونسيين حتى من غير منخرطي الحزب الحر الدستوري قد أصابتهم حالة من الدهشة عندما اكتشفوا بالموازاة مع إعجابهم بشخصية توفيق المدني أن هذا الذي يدافع عن قضاياهم ويناضل من أجل حريتهم بمقالاته الجريئة وأدواره السياسية الفكرية المتعددة، إنما هو في أصله جزائري وقد تكمن مفاجئتهم في إن معظمهم لم يكن يفرق بين ما هو جزائري وغير جزائري خصوصاً في المحن والأزمات، فقد بدا لهم المدني من خلال مقالاته الغزيرة المتعددة المدافعة عن القضية التونسية باهتمام، إضافة إلى عضويته الحزبية المتميّزة، أنه تونسي الأصل والفصل، وفي هذا الإطار يبدو المدني تونسياً مغربياً إسلامياً دون أن يُولي اهتماماً يُذكر بالقضية الجزائرية، وربما كان يفعل ذلك خوفاً من الوقوع في المحظور،

ففي جلّ مقالاته برز بشخصية سياسية متميّزة بالعناد والصلابة والإيمان بمبادئ الحزب والتصدي لخصومه من المستعمرين الفرنسيين الذين طالوا ما طالوا وسوّقوا في انتظار أن تحين الفرصة للانقضاض على الحزب نفسه، أو تأتي الأحداث بما يشتهون.

في هذا المجال الذي يبرز فيه الكاتب متحزباً شديد الإيمان والتعلق بمبادئ الدستور نراه يؤكد في إحدى مناقشاته لتصريح أحد وزراء خارجية فرنسا لحمة الحزب وصلابته بقوله:«أما الحزب الحر الدستوري التونسي ورجال الأمة المخلصون الملتفون حوله التفافًا متيناً فإنهم يستمرون بثبات كلي، وبعزم أكيد على أعمالهم، ولا يغادرون فرصة - كبيرة ولا صغيرة- إلا انتهزوها لعرض مطالبهم والسعي في تحقيقها بكل الوسائل السلمية المشروعة، وإنهم ليزدادون إلا قوة وثباتاً كلما ازداد خصومهم انغماساً في بحر الأكاذيب المرذولة فلنسر سيرنا، ولنذب على أعمالنا، ولنتبع خطتنا السياسية التي ارتسمناها لأنفسنا، وما علينا أن يوالي أضدادنا حملاتهم ضدهم...» **(لسان الشعب، 1925/02/24م)**، وبهذا الفهم الذي يقوم على منطق الرفض للأمر الواقع ومحاولة تغييره بصورة ملحة ودائبة لم تُجدِ مع توفيق المدني شتى وسائل الترهيب والترغيب، فقد كانت جزائريته كما يقول في مذكراته: «تملي عليّ الصمود في المواقف الصعبة والمقاومة حتى النهاية» بل كان ينصح الناس بأن يجربوا«لذة» السجن مثلما جربها هو وله من العمر خمس عشرة سنة، حين زجّ به في 15 فيفري 1915م بتهمة التدبير لقيام تنظيم سياسي وتوزيع الأناشيد الوطنية والمنشورات ضد فرنسا **(الجابري.م، 1983، 287- 288)**.

وعن إسهاماته الصحفية بعد الحرب العالمية الأولى يقول عن نفسه: « وجاء يوم أول فيفري 1920م وكان يوم تحرير الصحافة التونسية من عقالها... وازدانت الآفاق الفكرية والسياسية والأدبية بتونس بعودة صحف المشير والصواب وعدد كبير من الصحف الجديدة والمجلات الراقية كالفجر والبدر والمجلة الصادقية... شمرتُ عندئذ عن ساعدي وآمنت بأن ساعة العمل قد دقت وتقدمت ولا أزال بالزيتونة إلى الصحف التونسية خاصة الصواب والوزير بمقالات متوالية اخترت لها رمز المنصور إمضاءً حتى لا أظهر باسمي لشر الإدارة، وكنت أوالي الكتابة ضمن دائرة السياسة الخارجية وأتولى النضال عن القضية المصرية والسورية وخاصة التركية... كما نشرت ترجمة لمقالة "هنري دي شامبون" – صاحب المجلة البرلمانية بباريس- المقتبسة أصلاً من كتاب تونس الشهيدة وفيها نقد قاسي للإدارة الاستعمارية بتونس، وهذا في جريدة "المشير"، وتهافت التونسيون على المشير يختطفونه من الباعة، فلم يبق في السوق إلا بعض أعداد فقط حجزتها الإدارة، وأمرت بإغلاق جريدة المشير وأخذتُ منذ ذلك الحين أغشى المجالس السياسية بصفة منتظمة، وأكتب المقالات السياسية لمختلف الصحف أمضيها باسم المنصور تارة وأنشرها دون إمضاء تارة أخرى»(**المدني، أ.1976، ج1، 162- 165**) وخلال هذه الفترة كان المدني يُحرر القسمين الإسلامي والخارجي بجريدة الأمة لصاحبها الحاج علي بن مصطفى(**بن قفصية.ع، 1972م، 28**).

ومن خيرة من اشتهر في العمل الصحفي خلال هذه الفترة ضمن كوكبة النخبة الجزائرية الزيتونية بتونس الصحفي عبد الرحمان

اليعلاوي، الذي كان تكوينه والتزامه السياسي قد جعله من أنشط الصحفيين خلال العشرينات ومن أبرز المدافعين عن حرية الصحافة، فقد ساهم بمعية محي الدين القليبي والمنصف المنستيري والطاهر الحداد وعثمان الكعاك في إعداد تقرير عن وضع الصحافة، تمّ تقديمه إلى اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري في اجتماع عقدته يوم 17 ماي 1923م ليقع اعتماده من قبل صالح فرحات خلال اتصالاته بالعاصمة الفرنسية، وقد طالب هؤلاء بالحرية للصحافة الوطنية الناطقة بالعربية كما رصد نشاط الرابطة القلمية، وذكر أنها كوّنت وفدًا قابل الوزير الأكبر وسلمته لائحة احتجاج على خنق حرية الصحافة.

ولقد كتب اليعلاوي العديد من المقالات على أعمدة الصحافة الوطنية بدون إمضاء أو بأسماء مختلفة أشار إليها في يومياته منها: (عبد الرحمان اليعلاوي- عماد- بن عباد- المكاتب المتجول- الصريح...)، وهذا في الصحف التالية: لسان الشعب (43 مقالاً)- وجحجوح (11 مقالاً)، ومقالات متفرقة بجرائد الأمة ومرشد الأمة والمبشر، والنديم، والممثل وإفريقيا.

وإذا كانت الصحافة هي ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقلية تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها، فذلك هو مفهوم مفدي زكريا للصحافة وتلك هي رؤيته لوظيفتها الرائدة في بناء ذاكرة الأمة وتفعيل دورها في المجال الحضاري، من هذا المنطلق الواضح راح الشاعر مفدي يبحث في مختلف وقائعها

ومراحل تطوراتها وزوايا تاريخها الحافل بالجزائر، حيث استقر بحثه ذلك عن برنامج إذاعي اشتمل على (23) حلقة، تمّ بثها عبر الإذاعة التونسية ما بين سنتي (1959م- 1961م).

ذلك أن أول خطوة لمفدي زكريا في عالم الصحافة كانت مبادرته إلى جانب رفيقه الشاعر رمضان حمود عندما أسس جمعية "الوفاق"، الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة مابين (1925- 1930)م في تونس **(مقابلة مع الأستاذ سليمان الشيخ، الأبيار، 2006/04/05)**، ورغم انشغالاته الوطنية العديدة، فقد ظل مراسلاً وفيًا لعدد معتبر من الصحف أو المجلات التونسية بأسماء مستعارة مثل:"الفتى الوطني"و "أبو فراس"، وتميّزت كتابات مفدي زكرياء الصحفية بطابعها الثوري وحماسها الفياض ولغتها الصافية والمباشرة عندما تكون موجهة لجماهير الشعب، وطافحة بالتهكم والسخرية اللاذعة عندما تكون موجهة لقوى البطش الاستعماري، «وقد غلب على كتابات مفدي في هذه الفترة المقال الصحفي والتعليق دون إغفال بقية الأجناس الصحفية الأخرى، ويعود سبب ذلك إلى أن مفدي ينزع نحو صحافة الرأي لا صحافة الإثارة، لكن ذلك لا يمنعه من أن يكتب بأسلوب صحفي بليغ؛ طابعه تحريضي وهدفه تعبوي، وسياقه حماسي متمرد». **(مقابلة مع الأستاذ سليمان الشيخ، الأبيار، 2006 /04/05)**

وكذلك الكاتب والشاعر الزيتوني محمد العريبي أصيل تيهرت الذي لم تستهويه في هذه الفترة ما ينشر في مختلف الصحف من كتابات أدبية يغلب عليها طابع الإثارة والتحريض، ولكنه ترأس تحرير جريدة من أعتى

الجرائد الوطنية التونسية وأشدها صلابة وأكثرها نضالاً،(**بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 30- 37**)، ألا وهي جريدة "صبرة"، التي صدرت سنة 1936م بمدينة القيروان لصاحبها عمر العجرة، وتولى رئاسة تحريرها ثم عطلت في حوادث أفريل 1938م كما شارك العربيي في تحرير عدد من الصحف: كالزمان- والزهرة- والبوق- والمباحث..، وساهم قبل ذلك في تحرير عدة صحف تونسية منها: السردوك والسرور، والوطن والعالم العربي، وكان يمضي فصوله باسم "ابن تومرت"، وتعتبر جريدة صبرة التي صدر عددها الأول في 16 مارس 1937م، امتداداً لجريدتي "الشباب" و"السردوك"، فهي نسجت على منوالهما، ذلك أننا نجد فيها نفس الانتقادات الساخرة الموجهة إلى الاستعمار وأذنابه من خلال المقالات والأزجال والصور الكاريكاتورية، من ذلك أنها نشرت صورة تمثال "جول فيري" المنتصب في شارع مدينة تونس الرئيسي تحت عنوان "لو تتحرك التماثيل"، مع التعليق التالي «... يحل تمثال جول فيري ضيفاً على حي باب سويقة لكننا نرى جول فيري يسد أنفه من رائحة المشوي والصبي التونسي يفرّ من الصبي الفرنسي قائلاً: تعلمت ياسر خليني نمشي نشيّت (أمسح الأحذية)، أما تونس فيطغى عليها جو الحارة العربية فتدقز [تتنبأ] للمعمّر قائلة: برجك بالخطار، لعنة الله على ظلم وجار».(**صبرة، ع34، 1938/02/25م**).

وقد تعطلت جريدة "صبرة"، إثر حوادث 1938/04/09م، مع كافة الصحف الموالية للحزب الدستوري الجديد، وذلك بعد صدور العدد 37 المؤرخ في أول أفريل 1938م، وأُلقي القبض على رئيس تحريرها محمد

العريبي، وأودع السجن ثم عادت للظهور بعد احتجاب دام زهاء السنة حيث ظهر العدد الأول من السلسلة الجديدة في 07 جوان 1939م طافحاً بأخبار السجون والمنافي وما تعرض له الدستوريون من اضطهاد وتنكيل بعد حوادث 1938/04/09م، وصدر ضدها قرار جديد بالتعطيل النهائي في 1939/08/25م.

كما صدرت في تونس جريدة السرور الهزلية برئاسة علي الدوعاجي بالاشتراك مع نخبة من الأدباء والشعراء الشبان كان من بينهم الجزائري محمد المقراني، حيث ظهر العدد الأول يوم 1936/08/30م في ثماني صفحات يحمل العنوان الآتي: «السرور جريدة مفاكهة ممازحة ومؤانسة» ومن سوء حظها فإنها لم تعمر طويلاً، فما إن ظهر العدد العاشر الصادر في 10 أكتوبر 1936م، حتى احتجبت نهائياً. **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 34)**.

ومن المعلوم أن العريبي بدأ حياته الصحفية بمقال عنوانه "معرض يحي التركي" ونشره بجريدة "الزهرة" يوم 1935/01/01م بإمضاء ابن تومرت، ثم واصل بعد ذلك نشاطه فأبدع وامتاز، كما قال زين العابدين بإدخاله أسلوب الروبورتاج وقد أعانه في ذلك الأستاذ مصطفى بوشوشة الجزائري الذي كان يمده بالصور الشمسية للحوادث الجارية بحيث كوّن رواجاً لجريدته وخلق في البلاد تشوقاً لفنه. **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 34- 35)** راجع: - **(حمادي. س، 1992م، 262)**.

فمجهود العريبي في إثراء الصحافة بتونس كان رائداً لا يمكن لناكر إنكاره حتى أنه حاول أن يكتب الجريدة بمفرده (جريدة الزمان 1940- 1941)، إثباتاً لكفاءته وتعبيراً عن مقدرته على غرار ما كان يقوم به محمود بيرم بجريدته «الخازوق» و«الشباب»، ومن الصدف الغريبة أن يُنهي العريبي رحلته الصحفية سنة (1944م) بتونس حيث بدأ بجريدة "الزهرة"، وقد تعامل أثناء هذه الرحلة مع جلّ المجلات والصحف اليومية والأسبوعية التي كان بها رواج في زمانه... وإذا عرف العريبي الصحافة المكتوبة منذ نشأته فقد أدرك الصحافة المسموعة منذ نشأتها.. فانظم إلى الإذاعة منذ بدايتها إثر خروجه من السجن سنة 1938م، فعمل بها متعاوناً مدة طويلة إضافة إلى عمله كصحفي بجريدتي "الزمان" ثم "الزهرة"، فأذاع بعض الأحاديث والأغاني والأزجال وكان العريبي يُدبِّج مقالاته بأربعة إمضاءات كانت على التوالي: العريبي، ابن تومرت، وولد الشيخ، الراوي المهم أن ما عرف من كتاباته الصحافية قد تم حصره في: (15) قصيدة ذات طابع رومانسي (12) أقصوصة(01) أقصوصة مترجمة، (01) فصل من رواية ...مترجمة، (06) مسرحيات باللهجة العامية التونسية، (09) أغاني وأزجال، (85) مقالة صحفية في الفن والأدب والسياسة وبعض الروبورتاجات. **(بن صالح.م. الهادي، الكراس 3، 1992م. 36)**.

ولمحمد العيد الجباري عدة أعمال علمية وثقافية وأدبية، نشر البعض منها في عدة جرائد ومجلات تونسية، حيث نشر خلال الفترة (1924-1936)م، أكثر من (20) مقالاً منها (12) مقالاً في جريدة العمل التونسية**(هلال.ع، 2004م، 158- 161)**، وهو يُناضل في صفوف

الدستور التي كانت سبباً في نفيه الأول إلى الجنوب التونسي، كما نشر الجباري في جريدة الإرادة مقالين بعنوان، "التفنن في الإرهاب" بتاريخ 1934/09/24م بعدها صدر أمر نفيه بتاريخ 30/ 09/ 1934م ونشر أيضًا في جريدة تونس قصيدتين أهمهما قصيدة: "أيها الشعب" جاءت كلها تنديد بالاستعمار الفرنسي في المغرب العربي.

وقد كان من ميزات الطالب الجزائري أحمد بن ذياب – الذي درس بالزيتونة خلال الفترة (1935- 1938) وتخرّج منها متطوعاً – التي فرضها على نفسه زمن تلمذته بالجامع الأعظم أنه كان يكتب في كل أسبوع موضوعاً إنشائياً حراً، حيث أثمرت هذه العملية بثمارها فكان ابتداءً من سنة 1937م ينشر البعض منها في جريدة البصائر وفي بعض الجرائد التونسية، وحين ظهر له لأول مرة مقال تناول فيه سلوك التلاميذ المستقيم في قسنطينة والمنحرف في تونس وقعت ضجة عنيفة في أوساط الطلبة الجزائريين **(البصائر، (ع92، 1937/12/24)، (ع94، 1938/01/07)**، حيث انتقد فيه مناهج الزيتونة العقيمة الجامدة التي تُساير الحياة كما انتقد سلوك الطلبة الزيتونيين الذي يسير من سيئ إلى أسوأ، فرد عليه أحد الطلبة في جريدة "الزهرة"، إلا أن بعض أساتذته قد نصحه وأقنعه بإهمال شأنه وعدم الرد عليه مراعاةً للمصلحة العامة للطلبة.

كما تألَق في ميدان الصحافة التونسية خلال هذه الفترة، عدد لا يحصى من الطلاب الجزائريين وهو ما لا تتحمله هذه الدراسة، نشير من بينهم على سبيل الذكر لا الحصر ولا التحديد، محمد الأخضر السايحي

الذي نشر شعره ونثره في الصحف الآتية (الزهرة، النهضة، تونس المصوّرة، الإرادة، الصواب، والزمان ..وغيرها) مع ملازمته لدراسته التي لا يتوانى فيها(**فضلاء.م، 2000م، ج2، 141**)، ومنهم أيضا محمد بن الحسين الذي قضى عمره في التحرير في الصحف والمجلات وبالخصوص في الجريدتين اليوميتين "الزهرة" ثم "النهضة"، كما ساهم في الإذاعة بأحاديثه الصباحية الشيّقة، وتولى أيضًا التحرير في مجلة (الجامعة) التي صدرت في جويلية 1937م، للجمع بين الفكر الزيتوني، والفكر الصادقي، وقد ضمت هيئة تحريرها إلى جانب محمد بن الحسين؛ جزائري آخر هو صلاح الدين بوشوشة. **(حمادي.س، 2005م.378).**

ومنهم أيضاً الطالب حماني أحمد الذي قال عن نفسه: «...كانت البصائر تنشر لي سلسلة مقالات بعنوان "حديث المتجول" أتناول فيه ماضي وتاريخ كل مدينة أنزل فيها، ونشرت لي حديث اجتماع جمعية العلماء، ثم اتصلت بجريدة "الإرادة" وبالصحفي القدير محمد المنصف المنستيري رئيس تحريرها فاستفدت من توجيهه ونشر لي عدة مقالات رنانة منها مقال بمناسبة محاكمة الشيخ العقبي تحت عنوان "صراع ثلاث سنوات" ومنها مقارنتي بين شخصية (م، ميو) مدير الشؤون الأهلية وشخصية الشيخ ابن باديس، وكتب الطالب الصادق حماني عدة مقالات في الصحف التونسية وأعجبت البصائر بما نشرنا ونوهت به في بعض أعدادها تحت عنوان "الجزائر في الصحف التونسية"، وبسبب مقالاتي في الجرائد التونسية، بحث عني رجال إدارة الشؤون الأهلية وتتبعوني بسبب نشاطي الصحفي بتونس، لكنهم لم يعثروا علي، إذ لم أكن أمضيها

باسمي ولكن أمضيتها باسمي المستعار الذي كان يعرفه أصدقائي ويعرفه الشيخ ابن باديس وهو الذي لقبني به (العيشاوي)، ومما كنت أقوم به خلال فترة الثورة من أعمال فقد كنت أنشر في الصحف الخارجية التي كانت ترسل إلى الشيخان شيبان وعلي مرحوم لتنشر في الصحف السيارة مثل جريدة "الصباح" بتونس بإمضاء "رشيد"...»(**حماني.أ ، 2004م، 48- 78**).

3- النضال الصحفي الجزائري في الصحافة التونسية خلال الفترة (1946- 1956)م.

إن هذه المساهمات الصحفية للنخبة الجزائرية بتونس يبدو أنها قد تطورت باطراد بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد تضاعف حجم الهجرات والبعثات الطلابية الجزائرية إلى تونس في فترات لاحقة خصوصاً منها بعيد قيام الثورة الجزائرية المظفرة، ونمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طوراً جديداً من المجابهة المباشرة، ومع إطلالة الخمسينيات أخذت معظم الصحف والمجلات التونسية وفي مقدمتها: الأسبوع، والزيتونة، والندوة، والفكر، والعمل والصباح، واللغات، وغيرها تتوج بالأسماء الجديدة وبالمواهب المختلفة التي لفتت إليها الأنظار، وشدت الأسماع في المحافل الأدبية والفكرية؛ أسماء لا تدخل تحت طائلة التحديد والحصر، بعضها يكتب لماماً، وسرعان ما كان يتوارى كالشهاب النير بعد مقالة أو مقالات قليلة، وبعضها الآخر ثبت في الساحة الأدبية والفكرية وأصبح حديث النوادي، وكان نشاطه ملأ الصحافة، وملأ الساحة الأدبية والسياسية.

وهكذا لم تكن المرحلة الأولى منطلقاً لعمل صحفي وطني جزائري تونسي فحسب ولكنها كانت طوراً جديداً من أطوار الصحافة المناضلة التي تخلت عن اتجاهها السابق المتمثل في اهتمامها الواسع بالأخبار الخارجية، ودعوتها الذائبة للتضامن الإسلامي وحزنها المستمر على سقوط الخلافة العثمانية، مولية كل جهدها وعنايتها إلى الأوضاع الداخلية وترتيب الصفوف وتبصير الشعب بحالته الراهنة وبما يجب عليه القيام به من عمل للخروج من وضعية الهون والدون، وبسبب هذه الروح الجديدة التي برزت فيها هذه الصحافة كان إقبال القراء التونسيين والجزائريين عليها إقبالا مشجعاً، فقد رأوا أن الواجب يملي عليهم بأن يتخلوا عن قراءة الصحف القديمة التي كانت لا تكف –بحسن نية- عن توجيه الأنظار إلى الآفاق الخارجية، ومعالجة المشاكل العامة التي لا تمس حياة المواطن في شيء عن حاجياته الملحة وقضاياه المحلية الأكيدة.

لقد انطوت الصحافة التونسية على تراث زاخر مما أنتجه الصحفيون الجزائريون خلال هذه الفترة، فقد ضمت صفحاتها كتابات هامة تؤرخ لتطور الحركة العلمية والفكرية بالجزائر، وتقدم حولها صورة مشرفة، وإن الرجوع إلى هذه الصحف كمصدر أساسي يأخذ أهمية أكبر بداية من الثلاثينات إلى حين استقلال الجزائريين نجد عدداً وافراً من الأعمال الإبداعية والإنشائية والمقالات السياسية التي تشير إلى كتابات هذا الجيل الذي أصبح فيما بعد عماد الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر

(I.S.H.M.N. (Tunis)., A.N.O.M, Bob A57, C26 H8, Dossier 2,-I S.H.M.N. (Tunis. A.N.O.M, Bob A58, C26 H9, Dossier 2,)

إن النشاط الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس لم يقتصر على تأمين رغيف العيش أو الدراسة بالمعاهد التونسية، ثم القيام بنشاط مماثل في الجزائر، ولكنه كان نشاطاً زاخراً متعدد الأغراض مختلف الوسائل مما جعله يُفضي إلى النتيجة المرتجاة ألا وهي تحقيق الحرية، وتأكيد الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وعلى صفحات الجرائد التونسية لمعت أسماء العديد من الجزائريين في مجال كتابة المقالة السياسية والثورية والإبداعية، وقد برز من هذه الأسماء بالإضافة إلى عبد الله شريط، محمد الميلي، ومفدي زكريا، يحي بوعزيز، عبد الرحمان شيبان، محمد الصالح الصديق، عبد الله ركيبي، أبو القاسم سعد الله، الجنيدي خليفة، الطاهر وطار... وغيرهم عدد آخر لا يدخل تحت الحصر من كتّاب القصة والشعر والمقالة الأدبية.

وإذا كان من العسير الإحاطة بكل المقالات والكتابات الصحفية التي تكاد تتشابه خلال فترة الأربعينات والخمسينات خصوصاً، فإنه من المناسب الإشارة إلى أن هذا النوع من الكتابات التحريضية والاستنهاضية ساهم مساهمة جليلة في تعضيد الحركة الوطنية الجزائرية ثم الثورة المسلحة والتعريف بها ونشر أخبارها وأخبار الجهاد الشعبي الشامل، ورغم طابع الحماس والنخوة والانفعال الذي يسيطر على هذه الكتابات بحكم العوامل النفسية المعروفة في مثل هذه الحالة، فإنها تُعد إحدى الوثائق البارزة التي تقدم صورة عن نشاط النخب الجزائرية المهاجرة...ووجهاً من وجوه تصديهم للاستعمار، واندماجهم في المقاومة المسلحة، التي أعطوها من روحهم الوثابة الشيء الكثير، فما إن أطلت الثورة الجزائرية حتى

وجدت بالانتظار جيلاً من المقاومين الأوفياء بالفكر والساعد... فكان هؤلاء صوتها الجهير وأداة إعلامها والمحاور الكفء الذي كان يتصدى للصحف الاستعمارية المسمومة، ويقدم للرأي العام الحقائق التي تحاول هذه الصحافة تشويهها وإخفائها.

فمولود قاسم نايت بلقاسم كان وهو طالب بالزيتونة يشارك بالكتابة في جريدة "المغرب العربي" الناطقة آنذاك باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي كان يرأس تحريرها محمد السعيد الزاهري، كما كان يساهم أحياناً بكتاباته في مجلة "المنار" الفتية التي كان يرأسها الأستاذ "محمود بوزوزو"، وجريدة "لسان العرب" التونسية فيما بين (1947- 1949)م أي خلال تلمذته بالجامع الأعظم **(بن نعمان. أ، 1997م.22).**

ومنذ سنة 1948م بدأ الطالب محمد الصالح الصديق (1946-1951)م ينشر في الصحف التونسية بعض القصص والمقالات القصيرة، حيث ألّف عام 1951م - سنة تخرجه- كتاب أدباء التحصيل من أربعة أجزاء طبع منه جزآن**(محمد الصالح. ص، 1951م)**، كما أنه تابع نشاطه الصحفي بها فيما بعد عندما التحق بتونس عام (1956)م عن طريق باريس، أين كان يعمل في إطار مصلحة الصحافة والإعلام لجبهة التحرير الوطني**(بوعزيز. ي، 1995م، ج1، 317).**

يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق عن إسهاماته الصحفية«..كنت الوحيد من ضمن زملائي الطلبة الجزائريين الذي كان يداوم وباستمرار على الكتابة في الصحافة التونسية فنشرت لي "صوت الطالب الزيتونية"

عدة مقالات متنوعة الجوانب منها مقالات في الأخلاق والروحانيات.. كما نشرت لي مجلة "وحي الشباب" مقالاً واحداً، والطابع العام لمقالاتي هو الرؤية الأدبية المحضة في تناول قضايا المجتمع والعالم الإسلامي والتشريع الإسلامي والمعاملات الأخلاقية (جمعتها في كتاب سميته أدباء التحصيل)، كناية على شهادة التحصيل الزيتونية حيث أدرجت فيه جملة من تراجم الأشخاص درست حياتهم الشخصية والأدبية، والملاحظ أن جامع الزيتونة قلمَّا شهد طالباً زيتونياً ألّف كتاباً وهو لا يزال يدرس في المرحلة الابتدائية...» **(مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق).**

وفي سياق عمله الصحفي بتونس نشر أيضاً في مجلة "وحي الشباب" التي كان لا يكتب فيها إلا الأساتذة.. وكان أول مقال لي فيها بعنوان "التفاؤل والتشاؤم" وقد أثار حينها ردود فعل في أوساط الطلبة «ومن شدة إعجابهم بما كتبت كان الطلبة الزيتونيون عموماً يقولون لي دومًا "لقد بيّضت وجوهنا" أما عن ردود زملائي من الجزائريين فقد لقيت من بعضهم العنت والصدود، وفيهم أيضاً من كان يرمقني بعين الحسد والبغض.. ولم أكن أبالي بهم..» **(مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق).**

وقد أتاح وجود الطالب الطاهر بن عيشة بالعاصمة التونسية الفرصة في أن يستأنف مغامراته الصحفية التي بدأها غداة الحرب العالمية الثانية، بالكتابة في بعض نشرياتها كمجلة "النهضة التونسية".. وكان ذلك من خلال صحيفة "عصا موسى" لصاحبها السعيد الزاهري. **(عباس. م، 2004م، ج2، ص73).**

كما كان الطالب أبو القاسم سعد الله (1930م-) يُدبج مقالاته وأشعاره خصوصاً المنشورة منها في جريدة البصائر بأسماء مستعارة كإبراهيم الحمداني أو رشيد الخوري أو بلقاسم القماري، ومن الملفت أنه كان يُوظف هذه الألقاب لينتقد نفسه بنفسه، كنقده لنفسه فيما يتعلق بمقال "أرض الملاحم"، الذي نشره بالبصائر(**البصائر، ع 264، 1954/03/26م**)، تحت اسم مستعار هو إبراهيم الحمداني؛ يقول عن نفسه في ذلك «كشباب كنا نتنافس في تحرير الإنشاء الأدبي لشيوخنا الذين يكلفوننا بهذه الأعمال كجزء من فروض الدراسة دون الشعور بأنني شخصياً كنت أختلف عن أمثالي من الطلبة التونسيين، فكان التنافس شديداً بيني وبين أحدهم (؟)، الذي كان أيضاً يحب الأدب الحديث.. وقد أضاف ظهور مجلة "الندوة" التي تسير في ركاب الحداثة ومجلات أخرى قصيرة الأجل مثل مجلة "المعارف" ... شيئاً جديداً إلى اهتماماتي الأدبية.. وقد نشرت شخصياً بعض أعمالي المبكرة بتوقيع (عضو رابطة القلم الجديد)، في بعض الصحف التونسية فأذكر أنني نشرت في النهضة بعض المحاولات وهي لا تستحق الذكر هنا لأن الجريدة نفسها كانت تختصر ما أرسله إليها أو تنشره ربما تشجيعاً لي فقط بل كانت تخطئ في الاسم نفسه، كما نشرت في مجلة "المعارف" وفي جريدة "الأسبوع"، ولا أدري إن كنت قد نشرت في جريدة (الزهرة)، وهي جريدة عريقة، فقد طال العهد ولم أكن أجمع أو أحتفظ بنسخ مما كنت أرسله إلى هذه الجرائد...» **(مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم سعد الله).**

ومن إصدارات جبهة التحرير الوطني بتونس صحيفة "المقاومة" التي سبقت صدور جريدة "المجاهد". وكانت المقاومة تصدر باللسانين العربي والفرنسي، وبالنظر إلى قائمة محرريها نجدها تكاد تكون زيتونية، فمن محرريها مثلا إبراهيم مزهودي، محمد الميلي، عبد الله شريط، الأمين بشيشي، عبد الرحمان شيبان، عبد الرحمان شريط، عيسى مسعودي، محمد الصالح الصديق.**(Hassani .A,1988, 26- 54)**، وكلهم خريجي الجامع الأعظم، ويروي محمد الصالح الصديق موضوع التحاقه بهيئة تحرير جريدة المقاومة قائلا: «لما جاء الأخ علي محساس إلى تونس واتصل بي، وبعد محادثة قصيرة اقترح علي أن أعمل في الصحافة في قسم اللغة العربية، وأخذني في الحال إلى الإدارة فقدمني إلى الإخوة أعضاء المكتب العربي، حيث ظللت محرراً في (جريدة المقاومة)، ومن أوائل سبتمبر 1956م إلى غاية شهر أوت 1957م، حيث تجنّدت ضمن فرق جبهة التحرير الوطني التي فتحت الواجهة في الصحراء دخولاً من فزان والإقامة بتوات**(مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق).**

وعندما لجأ عبد الرحمان شيبان إلى تونس عام 1956م عن طريق جبهة التحرير الوطني أصبح من أسرة تحرير (المقاومة الجزائرية) التي كانت تصفف وتوزع انطلاقاً من تونس، وكان لشيبان باب خاص فيها بعنوان (صفحات خالدة من الإسلام) حيث كان يقارن بين غزوات الرسول ﷺ وثورة الجزائر، وفي تونس دائماً أشرِف على إصدار مجلة الشباب الجزائري والتي قصد من خلالها تثقيف وتوجيه الشباب الجزائري اللاجئ في تونس، إضافة إلى أنه كان يشرف على أنشطة الشباب المختلفة

كالكشافة والرياضة والموسيقى والتمثيل(**فضلاء،م، 2000م، ج2، 84- 85**)، كما قام الطلبة المنضوين في إطار اللجنة الكشفية الجزائرية بدعم مجلة الشباب الجزائري التي صدر منها إحدى عشرة عدداً. (**لبزة. م، 1999م، 73**).

الخاتمة:

وعموما فقد تميّز النشاط الصحفي الذي قام به الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصف الخمسينيات منه في جلّ مراحله بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب، كما كان هذا النشاط متلاحقًا توارثته الأقلام كما الأجيال وتفرّد كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها ومثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من الصحفيين الجزائريين المقيمين بأفكارهم وآرائهم فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص فلول من المهاجرين الجزائريين بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم، وإجمالاً فإن النشاط الوطني الذي بذله الجزائريون في تونس عقب الحرب الكونية الثانية كان أوضح مواجهة وأشد على الاستعمار من ذلك النشاط الذي بذله الأسلاف في المرحلة السابقة، ومن الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها أيضاً، هو أن النخب الجزائرية التي قادت مسيرة الحركة الصحفية الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية نجحت في أن تثري قضية الوحدة المغاربية بأدبيات سياسية وفكرية متنوعة، كما أنها تمكنت أيضاً من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك لخدمة المسألة الوطنية الجزائرية لكن الذي تعثرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي قوامه الوحدة السياسية بعد الاستقلال.

وفيما يتعلق بالنشاط الصحفي الطلابي بتونس فيمكن القول أنه تجاوز في أغلب الأحيان واقعه الطلابي ليكتسح الساحة السياسية العامة، وذلك أن تعرضهم لضغوط نظام الحماية ومضايقاته كانت تدفعهم إلى توخي الطرق النقابية واتباع أساليب الأحزاب السياسية، فكانت طرق عملهم تكتسي في الغالب صبغة شبه سرية وهذا عن طريق المناشير والمعلقات والمقالات والاجتماعات والمظاهرات.

إن هذا النشاط الفيّاض كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحوّلات التي سيشهدها المجتمع التونسي، فالمكانة التي كان يحتلها العنصر الجزائري ضمن تلك الحركية الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في تونس، إن أنشطة الجزائريين السياسية والجمعوية والصحفية والنقابية والفكرية والأدبية... تحيلنا إلى تبني بعض النتائج المهمة:

- لقد لاحظنا حيوية الفكر الجزائري، فرغم الركود الذي كان يصيب العالم الإسلامي والعربي حينها بسبب الهجمة الاستعمارية الأوروبية عليه، إلا أن بعض الجزائريين كانوا يتفاعلون مع أحوال عصرهم ويهتمون بأحوال إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى وأحياناً كثيرة كانوا يسبقون ذلك العصر ببعض الأفكار المتقدة في ميداني الفكر والسياسة خصوصاً.
- نلاحظ أن منطلقات الصحفيين الجزائريين كانت منطلقات ثقافية مضمرة في شخصيتهم من غير تكلف وموارية، والتي هي في الأخير وعي

مدرك بقضية الوحدة وإيمان يقيني بضرورة التوّحد، بل أن المنطلقات نفسها شكلت في فترة زمنية سابقة رهاناً حقيقيا في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لمقالاتهم ينتهي بنا إلى خلاصة واحدة وهي اقتران المطلب الوطني القطري بالمطلب القومي الملي من غير تناقض بينهما.

▪ نلاحظ أن التجربة الصحفية الجزائرية هذه كانت رائدة من حيث منطلقاتها في العالمين العربي والإسلامي وهي تجربة لم يتح أن تعطى حقها من العناية والدرس، ووضعها في مكانها من نضال كل العرب والمسلمين السياسي والفكري من أجل النهوض والتحرر.

قائمة المصادر والمراجع:

- **الوثائق الأرشيفية**

–C.D.N: Centre de documentation National(Tunis),

- A3, 39
- B2–81. , A3-53
- B2. 61, doc n°(1-2-3-4-5)
- B2-25
- B2-66, doc n° 31 et 37.
- B2-66-doc n°31et 37

- I.S.H.M.N: Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunis).,
- A.N.O.M, Bob A57, C26 H8, Dossier 2, "Guerre d'Algérie à Traver la presse Tunisienne".
- A.N.O.M, Bob A58, C26 H9, Dossier 2, "Guerre d'Algérie" date (10/1957, 12/1957), N, p (199)".

- **المقابلات**

– مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم سعد الله، بمقر المركز الوطني (ل. ب. ث. ج. و ث أول نوفمبر) – الأبيار – الجزائر 2006/04/05م، 09:30- 12:00.

– – مقابلة مع الأستاذ سليمان الشيخ، بمقر المركز الوطني – الأبيار، الأربعاء 2006/04/05، (09:00- 09:30)

- - مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق: حي بن عُمار (القبة) فيلا 339- الجزائر، 2006/04/04م، 5:00 - 17:00.

❖ باللغة العربية:

- **الكتب المصدرية:**

1. أحمد (خالد)، 1979م. أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر.
2. الثمرة الأولى (إصدار ج.ط.ز.ج) 1937م ، تونس: مطبعة الشباب.
3. حمادي (الساحلي)، 1992م.فصول في التاريخ والحضارة، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
4. حمادي (الساحلي)، 1996م. الصحافة الهزلية في تونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
5. حمادي (الساحلي)، 2005م.تراجم وقضايا معاصرة، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
6. حماني (أحمد)، 2004م. شهداء علماء معهد بن باديس، الجزائر: قصر الكتاب.
7. الخضر حسين، 1904م.السعادة العظمى، تونس: مطبعة الرائد التونسي.
8. الزاهري (محمد الهادي)، 1926م. شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، تونس: المطبعة التونسية.
9. بن عاشور (محمد الفاضل)، 1381هـ. أركان النهضة الأدبية بتونس، تونس: مكتبة النجاح.
10. بن عاشور (محمد الفاضل)، 1983م. الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، تونس: الدار التونسية للنشر.
11. علي الرضا (الحسيني)، 1998م.كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، تونس: الدار الحسينية للنشر.

12. بن قفصية عمر، 1972م. أضواء على الصحافة التونسية، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر.

13. كرو (محمد أبو القاسم)، 1973م. محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي.

14. محفوظ (محمد)، 1982م. تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ، دار الغرب الإسلامي.

15. محمد الصالح الصديق، 1951م.أدباء التحصيل، تونس: دار الكتب العربية.

16. المدني (أحمد توفيق)، 1976م.حياة كفاح (مذكرات)، ج1، الجزائر: ش. و. ن. ت.

17. مفدي (زكريا)، 2003م. تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح. أحمد حمدي، الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا.

- **الدوريات المصدرية:**

1. الأمة، الجزائر: ع76 - 1936/05/26م - ع130- 1937/7/02م.
2. البصائر، الجزائر: (ع92، 1937/12/24)، (ع94، 1938/01/07). ع 264، : 1954/03/26م.
3. الزيتونية، تونس: ج7، مج1.
4. الشهاب، الجزائر: ديسمبر 1933م- سبتمبر 1937م.
5. صيرة، ع34، تونس: 1938/02/25م.
6. الفاروق، الجزائر: ع66، 1914/06/22- ع72: 1914/08/03، والأعداد التي تليها- ع20، 07/ 1914.ع72، . 1914/08/03.
7. أبو قشة، ، تونس: ع19 .1908/12/19م.
8. لسان الشعب، تونس: 1925/02/24م.
9. المشير، تونس: ع26، 06/ 1911/08.- ع26، 1911/08/06.

10. المنير، تونس: 1921/02/11
11. النهضة، تونس : 1925/05/22م
12. الوزير، تونس: 1929/4/4م - 1929/03/21م

- **الكتب المرجعية:**

1. بوعزيز (يحي)، 1995م. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
2. الجابري(محمد الصالح)، 1983م. النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، تونس: الدار العربية للكتاب.
3. الجابري (محمد الصالح)، 1990م.التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
4. الجابري (محمد الصالح)، 1991م. الأدب الجزائري في تونس، ج1، تونس: بيت الحكمة.
5. الجندي (أنور) 1965م.، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية.
6. الخرفي (صالح)، 1969. شعراء من الجزائر، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية.
7. الخرفي (صالح)، 1977م.الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر : ش.و.ن.ت.
8. الخرفي (صالح)، 1986م.محمد السعيد الزاهري، الجزائر: م، و، ك.
9. الخرفي (صالح)، 1995م. عبد العزيز الثعالبي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
10. الزمرلي (الصادق) 1986م. أعلام تونسيون، تح حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
11. سعد الله (أبو القاسم)، 1998م. تاريخ الجزائر الثقافي، ،ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
12. بن سمينة (محمد)، 1989م. محمد العيد آل الخليفة، الجزائر: م، و، ك.

13. الشامي (علي)، 1980 م. الصحراء الغربية (عقدة التجزئة)، بيروت: دار الكلمة للنشر.

14. شوقي (أبو الجليل)، 1991م.الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق: دار الفكر.

15. عباس (محمد)، 2004م.مثقفون في ركاب الثورة، ج2، الجزائر: دار هومة.

16. عوض (صالح) 1992م.، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ج2، ط2، الجزائر: دار دحلب.

17. فضلاء (محمد الحسن)، 2000م. من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج2، الجزائر: دار هومة.

18. بن قينة (عمر)، 1993م. صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج.

19. لبزة (محمد الصغير)، 1999م." الكشافة وجيش التحرير"،الكشافة الإسلامية الجزائرية،الجزائر: دار هومة.

20. مناصرية (يوسف)، 1988م. الحزب الحر الدستوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

21. المنصف (شرف الدين)، 1997م.من رواد المسرح التونسي وأعلامه، تونس: المكتبة العتيقة.

22. بن نعمان (أحمد)، 1997م. مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، الجزائر: در الأمة.

23. هلال (عمار)، 2004م. نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر: دار هومة.

- **الدوريات المرجعية:**

1. الجابري(محمد الصالح)، 1984/04م. "تونس في نظر الشعراء الجزائريين " الفكر، تونس، ع07: ص.ص (21- 38)

2. الجابري (محمد الصالح)، 1992م. "التواصل الثقافي والفكري بين تونس والجزائر"، دائرة المعارف التونسية، تونس: بيت الحكمة، الكراس03، ص.ص(105- 112).

3. الزبير (سيف الإسلام)، 1975م. "النضال الصحفي"، الأصالة، ع24، الجزائر، ص.ص (74- 94).

4. بن صالح (محمد الهادي). 1992م.، " محمد العريبي"، دائرة المعارف التونسية ، تونس: الكراس03. ص.ص(30- 37).

5. قاسم (الشيخ بلحاج)، 06/ 1996م. " الشيخ أبو اليقظان ومعالم في جهاده الإسلامي"، الموافقات، ، الجزائر: المعهد الوطني العالي لأصول الدين، ع9، ص.ص(32- 46).

6. ناصر (محمد)، أوت/سبتمبر 1974م "أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية"، الثقافة، الجزائر: ع27.ص.ص ص.ص(54- 66).

❖ باللغة الأجنبية:

- **الكتب المرجعية:**

-Hassani (Abdelkrim), 1988. Guérilla sans visage, Alger: O.P.U.